الطب الشعبي في قرية مصرية

د . زيدان عبد الباقي*

يبحث الانسان ـ منذ وجد على ظهر الأرض ـ عن كل ما يجعل حياته هانئة طيبة ولعل من أهم الأمور التي نالت عنايته تلك التي تتصل بالناحية الصحية لديه . فقد توصل أفراد المجتمع المصري ـ على سبيل المثال ـ إلى أدوية بدائية كثيرة لأمراض متنوعة، شأنهم في هذا شأن غيرهم من أفراد المجتمعات الأخرى. غير أن ما توصلوا إليه من أدوية في ضوء عدم وجود كليات للطب ، ليس كله خيرا وليس كله شرا . وربما كان ومن المؤكد في بعضه المفتاح لولوج الأبواب التي تؤدي إلى استنباط علاج علمي لأمراض كثيرة . وربما ـ بل ومن المؤكد أن كثيرا من هذه الأدوية كانت ذات آثار سلبية . وفي هذه الدراسة سوف نتناول الادوية الشعبية أو البدائية أو كما يطلق عليها في الريف المصري : الوصفات البلدية ـ وستكون الدراسة في إحدى القرى المصرية كنموذج للقرى المصرية ، بل كنموذج للقرية العربية ، حتى تتاح للقراء وللطلاب الذين يتخصصون في علم الاجتماع أو في الطب أو في الخدمة الاجتماعية ، أن يكونوا على بينة من نوعية الثقافة الاجتماعية للمرضى ـ ذلك أن المريض غير المتعلم ، والذي ورث عن آبائه وأجداده مفاهيم وأساليب علاجية معينة يصعب عليه استبدالها بغيرها . وأوضح مثال على ذلك ، تلك القرية المصرية ـ موضوع الدراسة ـ والتي لا تزال خاضعة لمثل هذه الافكار العلاجية البدائية بالرغم من مرور مائة عام على إنشاء أول كلية للطب في مصر . . فاذا عرف الطلاب أبعاد هذه الثقافة الاجتماعية فانه يصبح من الضروري على طلاب علم

(*) الاستاذ بقسم الاجتماع في كلية البنات الاسلامية، جامعة الأزهر .

الاجتماع والخدمة الاجتماعية القيام بعمليات تبصير اجتماعي للمواطنين لتعريفهم بالجديد من أساليب العلاج وأنواع الدواء . . . ويصبح من الواجب على طالب الطب إقناع المريض بأهمية الدواء قبل أن يصفه له .

ومما تجدر الاشارة اليه أن المرضى الذين يخضعون لاساليب العلاج وأنواع الأدوية التي سنعرض لها ، يعتقدون في جدواها وفعاليتها ، ونحن نخالفهم في ذلك تماما . ولا نقر الا الاساليب العلاجية الطبية الحديثة باستثناء بعض أنواع العلاج البدائي مثل دفن نصف جسم المريض بالروماتيزم في نوع معين من الرمال ، و « الزار » بشرط مراعاة الجوانب الاخلاقية فيه . لا سيما وأن هذين المرضين لا يزال العلاج الطبي العلمي لهما في خطواته الاولى .

هذا والأمراض الشائعة في هذه القرية ، وأساليب علاجها شائعة في غالبية القرى المصرية . ومن أمثلة هذه الأمراض ما يلي :

١ ـ الصداع (وجع الدماغ أو الرأس) :

وطريقة علاج هذا المرض تحتاج إلى بعض الأدوات مثل : مفتاح خشب ، وقطعة من القماش الأسود الذي تستخدمه النساء في تغطية وجوههن عن الآخرين من الرجال (شاش أسود) أو قطعة من قماش من نسيج الصوف .

ويتولى أقارب المريض دعوة « المعالج » وهو رجل من أهل القرية ـ في الغالب ـ مشهود له بحسن الخلق ، وطيب المعشر ـ في الغالب ـ وربما كان ممن يحفظون القرآن الكريم . ولا يحدث ذلك ـ بصفة عامة ـ إلا في المساء بعد عودة الرجال من الحقول الى منازلهم بعد المغيب أو بعد حلول الظلام . ويتولى المعالج استخدام قطعة القماش الأسود بلفّها حول رأس المريض ـ بعد وضع مفتاح خشب مع الرأس قبل لفها ـ ثم يستعين بلفّها بهذا المفتاح على جعل رباط الرأس قوياً ومحكماً ومتيناً. ثم يبدأ في تحريك مفتاح الخشب ـ الذي يكون وضعه واقفا ـ وهو تحت رباط الرأس ، يحركه بصورة دائرية ناحية الأذن اليمنى ، ثم ناحية الظهر ، ثم ناحية الأذن اليسرى ، ثم ناحية الجبهة . وقد يكرر هذه العملية مرة أخرى اذا كان المرض شديدا .

والجزء الثاني من العلاج يبدأ بوضع « المعالج » لاطراف أصابع يديه ، كل واحدة منها على جانبي المريض ويضغط عليها بقوة في اتجاه منتصف الجبهة . ثم « يدلك » جبهة المريض تدليكا رقيقا ، ثم يمسك بأسنانه جلد جبهة المريض ـ دون غرس الاسنان في الجلد ـ ويشده ثم يتركه فيحدث جلد الجبهة صوتا (طرقعة) عندما يعود الجلد الى وضعه

الطبيعي . ثم يترك الجبهة إلى الاذنين فيشدها شدة قوية تؤدي إلى حدوث صوت أيضا (طأطأة) . . . ويكتفي بذلك إذا كان المرض خفيفة. ولكن في حالة شدة المرض يتولى المعالج شد شعره أيضا ثم يأمره بالانبطاح على بطنه ، ويشد جلد ظهره بأسنانه حتى يطرقع) . . وتسمى تلك الطريقة العلاجية بطريقة (أخذ الشمس) . ونتيجة لأثر الجانب النفسي في هذا العلاج ، فان الشفاء كثيرا ما يحدث بأمر الله ـ بعد هذا العلاج.

٢ ـ الرمد (امراض العيون) :

والأدوية التي تستخدم في علاج امراض العيون تختلف باختلاف المرض ، وتفاصيل ذلك كما يلي :

أ ـ المرض العادي :

والادوات المستخدمة في هذه الطريقة العلاجية عبارة عن « محارة » وهي نوع من الاصداف البحرية ـ التي يستخرج اللؤلؤ من باطنها بعد شقها الى قسمين . ويكون كل قسم بعد شق المحارة أشبه بصحن أو بطبق وتوضع « ظلصة » صغيرة في قاع « المحارة » مع كمية من لبن إحدى السيدات المرضعات .

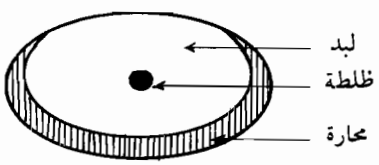

حيث يتولى « المعالج » تحريك أو (حك) الظلطة عدة مرات في قاع المحارة مع وجود كمية اللبن . ثم يضعون بعض النقاط من هذا اللبن في عين المريض . ومن ثم يتحقق الشفاء ـ بأمر الله ـ وتسمى هذه الطريقة (الطرفة) .

ب ـ في حالة احمرار العين :

والدواء الذي يستخدم في هذه الحالة هو كمية من العسل الاسود ـ الذي يستخرج من قصب السكر ـ توضع في العين المريضة ، المرة بعد الأخرى ، حتى يتحقق الشفاء بأمر الله عن طريق دفع العسل للصديد الموجود في العين على الخروج منها . وهذه الطريقة يطلق عليها (شرخ العين) .

جـ ـ في حالة الحصبة الالماني :

وطريقة العلاج يعتمد على (الرقبة) في جزء منها ، وتعليق (خرزة حمراء) تتدلى من رباط يوضع على رأس المريض ، بحيث تتحرك (الخرزة) مثل حركة (بندول

الساعة) الى اليمين وإلى اليسار كلما تحرك المريض ويعتقدون ان متابعة المريض ببصره لحركة الخرزة تساعد على الشفاء بإذن الله .

د ـ في حالة ورم العين :

يؤتى بكمية من براز (فشل) أحد الحمير عقب خروجها مباشرة من مؤخرة الحمار ، حيث تكون دافئة ، ويضعونها في (خرقة) ثم يضعون الخرقة بما فيها على العين ويربطونها برباط آخر ، ويتركون هذه الاشياء على العين حتى ينصرف الورم ـ بإذن الله ـ وتسمى هذه الطريقة « بالكمادات » . . . وهي طريقة بدائية للكمادات ، اذ تنطوي على أساس الفكرة الحديثة للكمادات ، ولكن أساسها البدائي كله القذارة .

وتلك هي الأدوية المتعلقة بأمراض العيون ، وهي ـ في الغالب ـ كثيرا ما تؤدي إلى نتائج عكسية .

٣ ـ الانفلونزا (وجع المناخير) :

ولهذا المرض نوعان من العلاج أحدهما هو أن يذهب المريض في الصباح الى نهر النيل أو إلى إحدى الترع المتفرعة منه ، ويخلع ملابسه ويغمس جسمه بالكامل في الماء مع تنظيفه ، ثم يعود إلى منزله . . . فاذا لم يغادره المرض ـ برغم هذا ـ يأتي بواحدة من الليمون ويعصر جزءاً من مائها في أنفه فيعطس ومع العطس تخرج الانفلونزا ، ويتحقق الشفاء بإذن الله . . . ولكننا نرى أن الطريقة العلاجية الاولى يمكن أن تؤدي إلى اصابة المريض بالسل الرئوى أو التهاب الرئتين . . بينما الطريقة الثانية ، قد تؤدي إلى التهاب مزمن في خياشيم الأنف وجيوبها ، ولكن لا حياة لمن تنادي .

٤ ـ أمراض (وجع) الأسنان :

ويتلخص العلاج في وضع قرن من نبات القرنفل فوق أو تحت السن أو الناب أو الضرس الموجود ، ويضغط عليه ببقية اسنانه . . . فيحدث الشفاء بإذن الله .

٥ ـ اللوز (وجع الزور) :

ولعلاج اللوز طريقتان : إحداهما تقوم على احضار كمية من اللبن المطحون وعجنه بكمية من عصير الليمون ثم يأخذ جزءاً منه على طرف أحد أصابعه ، ويدهن به اللوز ، من أجل تطهيرها ـ كما يظنون ـ بهذا الاسلوب المملوء بالكثير من الجراثيم . ومن الغريب أن كل مؤمن بهذه الطريقة يؤكد لك أن المرض لا يعود إلى اللوز ، التي يتم دهانها بهذه « العجينة » . . . وثانيتهما : تقوم على مص المريض لبعض حبات الليمون ،

مع شرب بعض السوائل الدافئة (شاي ، كراوية ، ينسون . . .) أو شرب ملء ملعقة كبيرة من السمن البلدي بعد تدفئتها مع عمل كمادات » على مكان المرض . . . وكل هذه الادوية ـ من وجهة نظرنا ـ قد تؤدي إلى تخفيف حدة المرض ، ولكنها لا تقضي على أسبابه .

٦ ـ الأمراض الباطنة :

وهذه الأمراض متنوعة ومتعددة ، وكذلك الأدوية الضرورية لها . وفيما يلي نتناول كلا منها :

أ ـ الحكة ـ أو ـ وجع (أو ضيق الصدر) :

وعلاج هذا المرض ، ولا سيما « الحكة » يؤتى به من محل العطار ، وهو عبارة عن نبات يؤتى به من محافظة أسوان وأسمه (حلف بار) ثم يوضع في كمية من الماء مع تسخينها الى درجة الغليان ، ثم تبريدها وشربها دافئة في الصباح ، وقبل تناول طعام الافطار . . فتذهب الحكة إلى غير رجعة ـ بإذن الله ـ طبقاً لاعتقادهم في هذه الأدوية .

أما وجع ـ أو ضيق الصدر ـ أو ضيق التنفس ، فلعلاجه طريقتان هما :

ـ احضار كمية من ثمار نبات (الحنظل) من محل العطار ، ووضعها في الماء وتسخينها ، وتبريدها وتناولها دافئة قبل الافطار ، فيتحقق الشفاء بإذن الله .

ـ ذبح طائر « أبي قردان » وطهيه وتناول لحمه وشرب (المرق) أو الماء الذي تم فيه سلق جسم الطائر . . . فيتحقق الشفاء باذن الله .

ب ـ الاضطرابات الهضمية :

وتحدث هذه الاضطرابات نتيجة عدم وجود نظام دقيق لتناول الوجبات في مواعيد محددة ، حيث ينخرط الواحد منهم في تناول الطعام أينما وحيثما وجده . وسواء أكان شبعان أو جائعا ، وسواء أكان الطعام مطهيا أو نيئا . . . ولا يجدون علاجا للاضطرابات المعدية التي تنجم عن ذلك سوى شرب كمية من سائل (الخل) فيحدث التقيؤ الذي يساعد على تنظيف بطن المريض من الأطعمة المتعفنة بها ، ومن الافرازات المرتبطة بهذه الاشياء العفنة . . . وبذلك يحدث الشفاء باذن الله .

جـ ـ المغص الكلوي :

وتسمية هذا المرض ـ بالكلوي ـ ليست عن علم أو خبرة ، وانما كل (مغص)

يصفونه « بالكلوى » حتى ولو كان ناجما عن التهاب في « المرارة » أو « الزائدة الدودية » . . الخ وأنواع الأدوية لكل أنواع « المغص » هي :

ـ احضار كمية من « الليمون » ووضعها في الماء ، مع تسخين الماء إلى درجة الغليان ، ثم تبريدها وشربها دافئة . . فيتحقق الشفاء باذن الله .

ـ أو احضار كمية من بذور نبات « الخلاء » وهو نبات ينبت وحده (شيطاني) على حواف الجسور ، وعلى شواطىء الترع والمصارف . . . ووضعها في الماء ، مع تسخين الماء إلى درجة الغليان ، ثم تبريده ، وتناوله دافئا . . فيحدث الشفاء باذن الله .

هـذا وقد استخلصت كلية الصيدلية بجامعة القاهرة من هذا النبات مادة تساعد على توسيع الحالبين ، وتسهيل نزول الحصيات من « الكلية » .

٧ ـ مرض البهاق :

وهو نوع من الالتهابات الجلدية التي تؤدي الى سقوط بعض اجزاء جلد الانسان ، ومن ثم تصبح بعض أجزاء الجلد ذات لون أحمر «خفيف جداً» وتبقى بقية أجزاء الجلد بلونها الطبيعي وهذا المرض يعالج في هذه القرية أيضا بوضع كمية من بذور « الخلاء » في الماء وتسخينه الى درجة الغليان ثم تبريده ، وشربه دافئا . . فيتحقق الشفاء باذن الله .

هذا وقد تمكن اساتذة كلية الصيدلة بجماعة القاهرة من استخراج « مكونات الخلاء » الفعالة في علاج مرض «البهاق » . . وقد أصبح العلاج المستنبط من هذا النبات علاجا عالميا لهذا المرض بفضل جهود الاستاذ الدكتور محمد الظواهري أستاذ الامراض الجلدية بكلية الطب بجامعة القاهرة .

٨ ـ القراع (وجع فروة الرأس) :

وهو مرض يجعل رأس المريض ممتلئة بالدمامل المتقيحة التي تقضي على بصيلات الشعر فتصبح رأس المريض بدون شعر . وهذا المرض يعالج بدهان رأس المريض بكمية من عجين « الحناء » ويظنون أن هذا الدهان يقضي على الجراثيم ، ومن ثم يتحقق الشفاء بإذن الله . . . والمعروف أن « الحناء » هذه يستخدمها كبار السن من الرجال والسيدات في صبغ شعور رؤوسهم أو لحاهم وشواربهم فتكسبها اللون الوردي أو الأحمر كما تستخدمها العرائس في صبغ كفوف أيديهن وبطون أرجلهن باللون الأحمر الذي يكسب الأيدي والأرجل جمالا خاصا يرتبط بهذه المناسبة السعيدة التي لا تتكرر في حياة المرأة إلا مرة واحدة في العمر كله .

٩ ـ الروماتيزم (وجع المفاصل) :

ويتلخص علاج الروماتيزم في احضار كمية من « جذور العرقسوس » ووضعها في الماء مع تسخين الماء إلى درجة الغليان ، وتبريده ، ثم شربه دافئا ، مع تدليك مكان المرض بزيت الخروع أو زيت الزيتون . . . فيتحقق الشفاء باذن الله .

وهناك علاج آخر لمرض الروماتيزم يستخدم في صعيد مصر ، حيث يختار « المعالج » منطقة رملية في الصحراء ويحفرها حتى تتسع لتغطية النصف الأسفل من جسم المريض حتى « الصرة » بحيث يجلس المريض في الحفرة على مؤخرته (عجيزته) ويمد ساقيه ، ثم يتولى المعالج تغطية هذا الجزء بالرمال . ويقيم « خيمة » فوق رأس المريض حتى لا يصاب « بضربة شمس » ويستمر المريض في الحفرة ذات الرمال الساخنة من حرارة الشمس ، لمدة ثلاث ساعات على الأقل ، ثم يجري اخراجه مع لفه بالبطاطين ونقله الى المنزل للراحة . . وهذاالعلاج يستنزف العرق الموجود في ساقي المريض بواسطة الحرارة الموجودة في الرمال . . . فيتحقق الشفاء بإذن الله . . ويقال أن هذا العلاج فعال بدرجة عالية . ويبدو أنه كذلك ، بالرغم من أن « المعالج » من كبار السن غير المتعلمين ولكنه عرف أسرار هذا العلاج بالوراثة عن أبائه وأجداده ، لا سيما وأن الاطباء لا يعرفون للروماتيزم علاجا سوى « الأسبرو » أو (الاسبرين) .

١٠ ـ قرحة المعدة :

وهذا المرض تُشترى له كمية من « جذور العرقسوس » من محل العطار ، وتوضع في الماء ويجري تسخينها الى درجة الغليان ، ثم تبريدها وشربها دافئة . . . هذا وقد اكتشف اساتذة كلية الصيدلة بجامعة القاهرة في هذه الجذور مادة تشبه « الكورتيزون » المفيدة في علاج « القرحة » وأيضا في علاج « الحساسية » .

١١ ـ الحساسية :

نفس العلاج السابق .

١٢ ـ أمراض القلب :

وعلاجها شرب سائل الخلاء المغلي بعد تبريده فحسب .

١٣ ـ أمراض الربو :

وعلاجها يتلخص في شراء كمية من « حبة البركة » من محل العطار ووضعها في الماء وتسخين الماء إلى درجة الغليان ، ثم تبريده وشربه . . فيتحقق الشفاء باذن الله .

١٤ ـ الدمامل :

والعلاج يتلخص في وضع كمية من « ورق شجرة الخروع » أو قشرتين من قشور رأس البصلة على الدمل وربطه باحكام ، وتركه إلى أن يستوى الدمل وتتجمع المواد المتقيحة بالقرب من رأسه الذي يأخذ اللون الاصفر ، ويرق الجلد الى سمك قليل جدا ، بحيث يتولى المريض فتح رأس الدمل والضغط بأصابعه من حول تلك الفتحة حتى يخرج كل ما فيه من مواد متقيحة . وبذلك يتحقق الشفاء بإذن الله .

١٥ ـ أوجاع الأذن :

والعلاج يتكون من كمية من « زيت الخروع » ومن كمية من « الفلفل الاسود » المدقوق أو المطحون أو المدشوش ، مع خلطها ، ووضع جزء من « الخليط » في أذن المريض عدة مرات . . . أو إحضار رأس رفيعة من نبات « الفجل » وترفيعها بالسكين ، مع ادخالها الى مسافة قصيرة في اذن المريض . . فيحدث الشفاء باذن الله . . وهذا العلاج الذي يستخدم في قرية « الابشيط » في دلتا النيل عولج بمثله الكاتب وهو غلام صغير في قريته « الرقة » بصعيد مصر . . وبكل أسف كان عدم العلاج أفضل منه ، فقد ترتب عليه انخفاض مزمن في درجة السمع بصورة واضحة .

١٦ ـ الجروح :

عندما يصاب المزارع في قرية « الابشيط » بجرح نتيجة الاستخدام الخاطىء للفأس أو «الشرشرة» أو « المنجل » الذي يحش به البرسيم أو يحصد به القمح . . فانه يسرع بالتبول على الجرح ، فيتوقف نزيف الدم . وبعد ساعات أو أيام يتحقق الشفاء باذن الله .

١٧ ـ مرض النساء (اكتئاب نفسي) :

فبعض النسوة لا يتحركن كثيراً ، حيث تبقى الفتاة في منزل والدها منذ ولادتها الى أن تتزوج فتنتقل الى بيت زوجها . وتبقى فيه إلى أن تنتقل إلى رحمة الله . مثل هذه الزوجة تتميز حياتها بالرتابة التي تؤدي الى الملل ، والاحساس بصعوبة الحياة وعدم القدرة على احتمال قسوتها ، الأمر الذي ينعكس نفسيا ـ على المرأة فتصبح مريضة بكل جسمها بالرغم من سلامة كل اجزاء الجسم . ولا تحقق كافة الأدوية السالفة الذكر ـ في حالة استخدامها ـ أية نتيجة . . عندئذ تقول بعض النسوة : ان المريضة « ملبوسة » أو « عليها عفريت من الجن » أو أن « جنيا تلبس بها » . . ولن يتركها الا « بالدقة » أي « الزار » وبعد الاقتناع بهذا المرض ـ الوهمي ـ فان اقاربها يحملونها الى منزل السيدة

المتخصصة في العلاج بالزار حيث يتم اقامة « حفل نسائي » يستخدم فيه بعض الادوات الموسيقية مثل (الناي والطبلة والرق . .) وفي الغالب لا يتحقق الشفاء ، طبقا لرغبة السيدة المعالجة حتى تتاح لها فرصة أطول للاستفادة من مرض هذه المريضة . ومن هنا تطلب السيدة المعالجة ، اقامة حفل للصلح (الصلحة) بين المريضة وقرينها من الجن في المنزل الذي تقيم فيه المريضة ، وبالطبع القرين الجني . ويوافق أهل المريضة على ذلك سعيا أو طلبا للشفاء . . وفي الليلة المحددة لاقامة الحفل ، يخلى المنزل من الرجال . وتأتي السيدة المعالجة أو ـ « الأسطى » ومعها « فرقة » من السيدات المنشدات وضاربات الطبلة والرق . . وتدعى الجارات والقريبات لحضور هذا الحفل الذي تذبح فيه أكثر من ذبيحة طبقا لدرجة ثراء المريضة . وتقام وليمة كبيرة تدعى إليها المدعوات . وبعد تناول الطعام تتم اقامة « الزار » في شكل دائرة داخل احدى صالات أو أفنية المنزل . وتبدأ السيدة المريضة ـ بعد ارتدائها الملابس البيضاء ـ بالهرولة دائرياً مع الآخريات على دقات الطبول والدفوف في هذه الصالة ، وتشاركها المدعوات . . . وفي الغالب ـ ولا سيما بعد أن يبلغ الإجهاد مبلغه بالسيدة المريضة ـ فإن المريضة « تتكعبل » في ملابسها فتقع على الأرض . وقد تظهر بعض ملابسها الداخلية . . وربما يظهر جزء من فخذيها ، ويحدث لهن ما حدث فتضحك النسوة وتبتسم المريضة . . وقد تقع واحدة أو أكثر من المدعوات فوق بعضهن البعض ، ويحدث لهن ما حدث للمريضة ، فتضحك المريضة ويضحك الجميع . . ثم يتحول الحفل إلى « لعبة مضحكة » قاصرة على السيدات اللاتي يجرين ويتشقلبن ويقعن ويقمن وحدهن ، بعيدا عن أعين الرجال . . ويضحكن بصوت مرتفع ولا مانع من ان تقع الواحدة منهن بسبب طول ملابسها أو بسبب معابثة سيدة اخرى لها ، أو بسبب وقوع أخرى أمامها أثناء الهرولة فتقع التي وراءها فوقها . . ويستمر الحفل على هذا المنوال الى أن تتخلص المريضة من اثار « حالة الكبت » التي تعاني منها ، ويتحقق لها الشفاء بإذن الله . ومن الواضح ان اسلوب العلاج هذا الهدف منه « التنفيس الانفعالي » Catharsis عن المريضة . وهو علاج نفسي جيد . وإن كانت المعالجة ـ وهي سيدة امية في الغالب ـ لا تعرف شيئا عن موضوع التنفيس الإنفعالي هذا . . ولكنها الفطرة .

١٨ ـ عقم المرأة :

ولهذا المرض عدة أنواع من العلاج هي :

أ ـ أسلوب التخويف :

والعلاج هنا يعتمد على تخويف المرأة العقيم ، حيث تؤخذ الى مكان دفن الموتى ،

وتجلس أياما باب مقبرة مفتوحة ، وفيها طفل ميت مدفون حديثا . ويجري استخراج جثمان الطفل من لحده ووضعه في حجر المرأة المريضة وهي جالسة على باب المقبرة فتصاب بالرعب والفزع . . ويلاحظ هنا الربط بين حاجة المرأة العقيم الى طفل ، وأسلوب تخويفها بطفل ميت .

ب ـ أسلوب التبرك بأولياء الله الصالحين :

حيث إذا لم يجد الاسلوب السابق في علاج العقم ، فان المرأة تذهب أربع مرات قبل صلاة الجمعة ـ في الفترة المخصصة للسيدات ـ الى احد الاضرحة المقامة لاحد أولياء الله الصالحين ، وترقد فترة داخل الضريح . . وليس أي ضريح . وانما بالقرب من القرية موضوع البحث ـ على سبيل المثال ـ نجد الضريح المخصص لهذا العمل هو « ضريح سيدي عبد ربه » بالمحلة الكبرى . . . فيحدث الحمل باذن الله . وفي قرية « البرنبل » مركز الصف محافظة الجيزة يوجد ضريح لسيدي عويس القرنى ، وبجواره « دحريجة » مكان منحدر ، تتدحرج عليه السيدات مع صلاة الفجر عدة مرات . . فيحدث الحمل باذن الله طبقا لظنهن . وان كان الحمل ـ في حالة حدوثه ـ يرجع الى عوامل أخرى .

جـ ـ أسلوب السحر :

حيث يوجد « مشعوذ » ببعض القرى أو أكثر ومعه أحد المساعدين أو إحدى المساعدات ـ وقد تكون زوجته ـ وهذا المشعوذ ينفرد بالمريضة في حجرة مظلمة الا من « موقد نار » حيث يضع كمية من البخور على النار ويبدأ تلاوة بعض التعاويذ والكلمات غير المفهومة ، ثم يطلب ـ بعد ذلك ـ من المريضة التردد عليه ـ أو عليها ويطلب منها أشياء شبه مستحيلة مثل « هدهد يتيم الام ولم يتزوج بعد» أو خروف أبيض بنقطة حمراء في منتصف ظهره « أو كبد حصان من التركستان » أو « لبن العصفور » . . الخ . وهذا العلاج لا يلجأ اليه رجل مصري لان المصريين يرفضون ذهاب زوجاتهم أو قريباتهم الى رجل معالج لينفرد بها في حجرة خاصة . على اعتبار ان مثل هذا « المشعوذ » لو اعتدى على المرأة المريضة اعتداء جنسيا ـ بعد تخديرها ـ فان المرأة المعتدى عليها قد تتكرر على الواقعة ، إما طلبا للحمل والولادة ، أو طلبا للستر وعدم الفضيحة . ولذلك فان سكان أي قرية يرفضون بقاء مثل هذا المشعوذ في قريتهم . . وان كان المشعوذ « يتردد على القرية خلسة والمرأة العقيم خوفا من تطليق زوجها لها بسبب عدم الإنجاب ، قد تلجأ اليه دون علم زوجها .

د ـ التبول على أحد التماثيل :

ومثل هذا الاسلوب كان يستخدم في قرية « ميت رهينة » التي تقع جنوب مدينة

الجيزة بحوالى ٣٥ كيلو مترا ، حيث كان يرقد على أرض هذه القرية تمثال « رمسيس » الذي أقيم حاليا في ميدان باب الحديد الذي سمى باسمه بعد ذلك بمدينة القاهرة ، فيتحقق . . . حيث كانت المرأة العاقر تذهب ليلا الى حيث يرقد هذا التمثال وتتبول عليه ، فيتحقق لها الحمل باذن الله . . وقد استبدل هذا التمثال حاليا بتمثال آخر كما وانه يوجد تمثال في كل منطقة اثرية في صعيد مصر ، تتبول عليه السيدات العاقرات بصفة مستمرة الى أن يحدث الحمل والولادة باذن الله .

١٩ ـ المصابون بالحسد : Envy

والعلاج يتلخص فيما يعرف (بالرقوة) وللرقوة أدوات وأسس وصيغة محددة ، يمكن تناولها فيما يلي :

ـ أدوات الرقوة : وهي كمية من الشبة ـ فاسوخة ـ أثر (أي جزء من شعر المريض ، أو قطعة من ملابسه ، او منديله أو طاقيته أو عترته . .) وقطعة من الخبز في مساحة كف الانسان .

ـ أساس الرقوة : ان يقوم بها رجل طيب من المشهود لهم بحسن السيرة ، أو احدى السيدات المشهود لها بحسن الخلق وسلامة السيرة . ومن الافضل وجود بعض الاقارب اثناء تنفيذ الرقوة .

ـ صيغة الرقوة : وتبدأ بقراءة الفاتحة بواسطة الرجل ـ أو المرأة ـ الطيبة ، ثم تلاوة آية الكرسي ونصّها « الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات والأرض ، من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ (البقرة ٢٥٥) وبعد ذلك يقول ـ أو تقول ـ « الأولى : بسم الله ، والثانية : بسم الله ، والثالثة : بسم الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . . . تشفيه وتنجيه ـ أي المريض ـ من عين الحاسدين . . النبي رقى ناقته من عين الحاسدين الفتحة للنبي ـ ﷺ ـ وأحباب النبي . وهنا يستجيب « الحضور » بقراءة الفاتحة . وفي نهاية قراءة الفاتحة ، يحدث أن يتثاءب الجميع بما فيهم الرجل الراقي ـ أو المرأة الراقية ـ ومن تجري رقيته أو رقيتها ـ بطريقة لا ارادية . واذا ما حدث التثاؤب ، فالكل يعتقد أن المريض مصاب بالحسد، وان هناك أملا في الشفاء . وبذلك يعود الراقي ـ أو المرأة الراقية ـ الى دعوة الحضور لتكرار صلواتها ودعواتها فتقول وهم يرددون خلفها ما تقول: الفاتحة لاولياء الله الصالحين (فيقرأون الفاتحة) . ثم تقول : الفاتحة لسيدنا الحسين والسيدة زينب ، وسيدي ابراهيم الدسوقي ، وسيدي أحمد البدوي ، وسيدي الرفاعي

وسيدي المرسي (أبو العباس) ، وسيدي زين العابدين ، وسيدي أبو الشراميط ، وسيد القناوي ، . . . الخ وتذكر أولياء اخرين ، بهذا الترتيب ، أو بأي ترتيب آخر . وقد تصنف البعض ـ في حالة ما ـ وتحذف البعض في حالة أخرى ـ فالأمر ليس له قاعدة علمية . وانما هو نوع من « الدروشة » أو « الاعتقاد في بركة الناس الطيبين » فحسب . ولا تنسى المرأة الراقية أولياء الله المدفونين في القرية ، بل وتركز عليهم ، وتخاطبهم قائلة : فلان أي المريض ـ لامعه ولا يتبعه ، تشفيه وتنجيه من عين الحاسدين . . الخ . وأثناء قيامها بهذا الدعاء تقوم بتمرير قطعة « الشبة » مع الفاسوخة على فم المريض ، حتى تنتهي من تلك الادعية ، فتضع « الشبة والفاسوخة » في النار حتى يحترقا ، ثم تلقي برمادها في المرحاض . واحيانا تستبدل الفاسوخة بقطعة خبز . وبعد الانتهاء من الادعية تلقي بقطعة الخبز لاحد الكلاب فيأكلها . . وبذلك يتحقق الشفاء باذن الله . . وان كان الشفاء لاسباب أو بسبب عوامل أخرى غير هذه .

٢٠ ـ العظام المكسورة :

وعلاجها يتكون من مجموعة قطع من جريد النخل (طابات أو جباير) تشبه كل منها « المسطرة » ويلف « المجبراتي » رجلا كان أو امرأة ، يلف حول العظمة المكسورة أو المصابة ويربطها جيدا ، بحيث يجعل العظمتين المكسورتين في وضع مستقيم أو يحاول إعادة العظام المكسورة إلى وضعها الطبيعي إلى أن يتم الالتحام بين هذه العظام . وتحت هذه (الجبيرة) توضع كمية من عجين (الردة) الدافىء حتى لا تؤدي قطع الجريد الى تسلخ الجلد . وقد عولج الذراع الايسر للكاتب بهذا الاسلوب ، بواسطة « سيدة مجبراتية تدعى أم محمد » في قريته « البرقة » حيث تم التحام عظام المرفق مع عظام المساعد بشكل خاطىء . ولا يزال هذا الوضع الخاطىء قائما حتى الآن بأثاره السلبية الجانبية .

ملخ الذراع أو قصعة الرجل :

وأمراض العظام أو الغضاريف والعضلات يتولاها احد المعالجين الذين يخصصون أنفسهم ـ بدون علم وبدون ترخيص حكومي ـ لمعالجة هذه الأمراض . ففي قرية « الابشيط » يتولى احد الرجال احضار كمية من الماء الدافىء ، ويقوم بتدليك مكان (الملخ) أو (القطع) ويقرأ بعض آيات القرآن الكريم ، ثم يربط الذراع المملوح أو الرجل المقصوعة ببعض خيوط الصوف المغزول بالمغزل اليدوي . . وبذلك يتحقق الشفاء باذن الله وقد رأيت أحد المعالجين هؤلاء في قرية (الكراية) التابعة لمحافظة الجيزة ، ويدعى (محمد عبد الباقي) وهو رجل أمي يعمل بالزراعة . . وكان ذلك أثناء قيامه بعلاج رجل الغلام محمد عبد العظيم غانم والتي كانت مقصوعة (أي ملتوية التواء شديدا) حيث حاول اعادة الرجل الملتوية الى حالتها الطبيعية بحركة عكسية جعلت

الطفل يصرخ صرخة قوية من الالم وينخرط في البكاء . ثم قام بتدليك الرجل وربطها بشال من الصوف وطلب من الاب ارغام الغلام على المشي على رجله الملتوية ، واعتبر العلاج منتهيا ، ومما تجدر الاشارة اليه ان الغلام المريض ووالده قد اقتنعا بهذا العلاج الذي قد يؤدي الى افساد « تركيبة عظام » رجل المريض وبقائها كذلك طوال حياته .

تلك هي النماذج الرئيسية للامراض المنتشرة في قرية « الابشيط » وأساليب العلاج المستخدمة هناك . . واستعراضنا لها هنا ليس من أجل الدعوة الى استخدامها ، وانما من اجل الدعوة الى نبذ مثل هذه الاساليب العلاجية البدائية واللجوء الى الاساليب العلمية الحديثة .

المراجع والمصادر

١ ـ قرية « الابشيط » احدى قرى مركز المحلة الكبرى ، محافظة الغربية بجمهورية مصر العربية .

٢ ـ تولى جمع المادة العلمية لهذه الامراض احد ابناء القرية ، والذي كان تلميذا في السنة الثالثة بقسم التخطيط بكلية الهندسة بجامعة الازهر ، ويدعى محمد محمد أبو العينين ((المهندس حاليا) حيث كنت أتولى تدريس مادة (علم الاجتماع الحضري والتخطيط الاجتماعي للمدن) له ولزملائه في العام الجامعي ١٩٧٧/٧٦ ميلادية (١٣٩٧/٩٦ هجرية) .

٣ ـ وفي مصر نباتات او اعشاب طبية كثيرة ، أثبتت أبحاث كلية الصيدلة بجامعة القاهرة تحت اشراف الاستاذ الدكتور فايق هاشم أنها (نباتات واعشاب طبية من نوعية ممتازة) وأنها تحتوي على مواد فعالة لها تأثير فسيولوجي على جسم الانسان والحيوان . وانها تستخدم على هيئة عقار خام أو خلاصة مركزةأو مخففة وأحيانا تستخدم المواد الفعالة منها في شكل مستحضر صيدلي . (أنظر صحيفة الاخبار الاخبار القاهرية بتاريخ ١٩٧٦/٣/٥ .

٤ ـ دكتور زيدان عبد الباقي : المرأة بين الدين والمجتمع . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٧٧ فصل بعنوان « المرأة والطلاق . » .

٥ ـ دكتور زيدان عبد الباقي : الاسرة والطفولة . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٧٩ .

٦ ـ دكتور زيدان عبد الباقي : علم الاجتماع الريفي والقرى المصرية . مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٤ .